بسم الله الرحمن الرحيم
Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)
مجلة جامعة أم درمان الاسلامية
https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj
https://doi.org/10.52981/oiuj.v1i2.3166
ISSN: 5361-1858
2024; 20(2); 471 – 499

مفهوم الخطاب الإسلامي ومرتكزاته

د. النور التوم فضل المولى جمعة الحربي[1]

[1]كلية الدعوة – جامعة أم درمان الإسلامية – السودان

للاستشهاد بهذا المقال:–

د. النور التوم فضل المولى جمعة الحربي ، مفهوم الخطاب الإسلامي ومرتكزاته ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية

ISSN: 5361-1858

https://doi.org/10.52981/oiuj.v1i23167

بسم الله الرحمن الرحيم

المستخلص:

جاء البحث تحت عنوان مفهوم الخطاب الاسلامي ومرتكزاته وتكمن اهمية البحث في اثراء المكتبة الاسلامية فيما يتعلق بمفهوم الخطاب الاسلامي ومرتكزاته كما تتمثل اهمية هذا البحث في تلبية شغفي المعرفي في مجال العلوم الاسلامية وتأتي اهمية هذا البحث بحكم تخصصي في مجال الدعوة والثقافة الاسلامية ، مما يحتم علي الإحاطة بالخطاب الاسلامي ومرتكزاته وخصائصه ومطلوباته وتحديث مصطلحاته الفكرية المستوعبة لمستجدات الحاضر والمستلهمة لاستشراف المستقبل ، من أهداف البحث الوقوف علي حقائق الخطاب الاسلامي وبيان منهج تجديده ويهدف البحث الي تفجير الطاقات الفكرية والمعارف العامة القاصدة الي الشريعة الاسلامية ، اتبع الباحث مناهج عدة منها المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي والاستدلالي لمعالجة الموضوع علميا ، ومن اهم النتائج التي توصل اليها الباحث ، أن الخطاب الاسلامي شامل لكل زمان وانه واضح في حجته ، ومن أهم التوصيات بالبحث أهمية تطوير الخطاب الاسلامي والاهتمام بالمؤسسات التي تعني به .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد الخلق ورسول الحق رسول رب العالمين محمد صل الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

جاء البحث تحت عنوان مفهوم الخطاب الإسلامي ومرتكزاته حيث تناول البحث مفهوم الخطاب الإسلامي ومرتكزاته وعالج من خلال تساؤلاته التي يجب أن توجد لها إجابة .

تناول الباحث في المبحث الأول مفهوم الخطاب الإسلامي معرفا إياه وتناول أساليب الخطاب الإسلامي ومصادره ومجالاته وضرورة تحديث المصطلحات حتي تكون مواكبة ومعاصرة كما تناول البحث خصائص الخطاب الإسلامي

وجاء في المبحث الثاني بالبحث الخطاب الإسلامي الي الملل الأخرى خطابه صل الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين وما بعده وجاء في المبحث الثالث مرتكزات الخطاب الإسلامي نحو أهل الكتاب بحيث أسس لهذه المرحلة مبادئ ثابتة انطلقت منها الأمة الإسلامية ن عبر عنها دستور المدينة الذي عالج واقع المسلمين مع أهل الكتاب وصار أنموذجا في العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب ، كما تناول المبحث الخطاب الإسلامي نحو الكفار والمشركين ودعاهم الى الإسلام كما تناول الخطاب موقف المنافقين وفضح سلوكهم .

اختتم البحث بالنتائج والتوصيات .

مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول الخطاب الإسلامي ومرتكزاته الفكرية وثمة أسئلة طرحت في هذه المشكلة وتتمثّل في :

ما مفهوم الخطاب الإسلامي؟

ماهي المرتكزات الفكرية التي يقوم عليها ؟

هل الخطاب الإسلامي مستوعب لمستجدات الحاضر ومستلهم لاستشراف المستقبل ؟

أسباب اختيار البحث

تعود أسباب اختيار موضوع البحث للآتي :

1.الخطاب الاسلامي يعبر عن طبيعة الإسلام السمحة وتقليده القائم علي المعاملة والمعاصرة

2.من اسباب اختيار الموضوع لعكس تميز الخطاب الاسلامي باعتباره منظومة متكاملة تعني بقضايا العقيدة والشريعة والأخلاق .

3. كما أن تطور الخطاب الاسلامي ومواكبته لكل ما يطرأ مدعاة للكتابة عنه .

أهميته البحث

تكمن أهمبته فيما يلي :

1.تكمن اهمية البحث في اثراء المكتبة الاسلامية فيما يتعلق بمفهوم الخطاب الاسلامي ومرتكزاته

2.كما تتمثل اهمية هذا البحث في تلبية شغفي المعرفي في مجال العلوم الاسلامية .

3.تتاتي اهمية هذا البحث بحكم تخصصي في مجال الدعوة والثقافة الاسلامية ،مما يحتم علي الإحاطة بالخطاب الاسلامي ومرتكزاته وخصائصه ومطلوباته وتحديث مصطلحاته الفكرية المستوعبة لمستجدات الحاضر والمستلهمة لاستشراف المستقبل.

أهداف البحث

تتمثل أهداف البحث في الآتي:

1.بيان أنّ الخطاب الاسلامي بمثابة رؤى من القضايا الايمانية والانسانية والحضاريّة التي تعبر عن الاسلام .

2.يهدف البحث الى بيان أن الخطاب الاسلامي بحاجة الي آليات ومطلوبات تجعل منه خطاب مقبول لدي الآخرين.

3.من أهداف البحث الوقوف علي حقائق الخطاب الاسلامي

4. يهدف البحث الي بيان منهج تجديد الخطاب الاسلامي

5.يهدف البحث الي تفجير الطاقات الفكرية والمعارف العامة القاصدة الي الشريعة الاسلامية.

المنهج

اتبع الباحث عدة مناهج ،منها المنهج الوصفي والتاريخي والتحليلي والاستدلالي لمعالجة الموضوع علميا.

المبحث الأوّل

مفهوم الخطاب الإسلامي

تعريف الخطاب الإسلامي

الخطاب الإسلامي المقصود به الفكر الإسلامي لأن الخطاب قبل أن يصبح كلاماً يسمع فهو في الأصل فكر، أما مصطلح الفكر الإسلامي فهنالك عدة تعريفات لهذا المصطلح ؛ فقد عرفه الدكتور محسن عبد الحميد بقوله (مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الحديثة، وهو يعني كل ما أنتجه فكر المسلمين منذ مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اجتهادات العقل الإنساني لتفسير المعارف العامة في أطار المبادئ عقيدة وشريعة وسلوكاً)[1]، وقد عرف الدكتور الترابي الفكر الإسلامي بقوله (الفكر الإسلامي هو عمل المسلمين في تفهم الدين وتفقهه وذلك كسب بشرى بطرأ عليه ما يطرأ على سائر المحادثات من التقادم والبلى والتجديد)[2]، أما في تعريف الدكتور عفيفي للفكر نجد الربط الواضح لمعنى الفكر بأنه الخطاب حيث يعرفه (فالفكر الإسلامي هو هذه الحصيلة من الموضوعات التي تخاطب العقل البشري فيما يمس عالمنا الواقعي الموسوم بعالم الشهادة ويدفع إلى التأمل والملاحظات والنظر فيما يتعلق بقضايا العقيدة والعبادة والقيم والنزعات والأخلاقيات في الإسلام)[3].

أساليب الخطاب الإسلامي

تتنوع أشكال الخطاب الإسلامي قد يكون الخطاب الإسلامي قيماً فكرية تعبر عن الإسلام وفلسفته ومنهجه في الحياة والإنسان والكون وبذلك يعبر عن رؤى وأفكار فلسفية ممثلة في جملة من التراث الإسلامي.

وقد يكون خطاباً مباشراً يوجه إلى المدعوين كما في قوله تعالى (يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره) سورة الأعراف، (الآية 59).

وقد يكون في شكل حوار بين الحق الذي يمثله أحد الأنبياء والباطل الذي يمثله أحد الطواغيت الذي يحاور هذا النبي، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحكي مثل هذا الحوار.

كما يكون الخطاب الدعوي في شكل قصص يرويها القرآن الكريم وتحمل ما تحمل من معاني العبر والعظات وتهدف في النهاية إلى إرسال رسالة محددة إلى المدعوين ليتأثروا ويهتدوا.

كما يأتي الخطاب الدعوي في شكل أمثلة تضرب، وتعبر هذه الأمثلة عن مواقف محددة يطلب من المدعوين الانتباه إليها والاستفادة من مضمون هذه الأمثلة، قال تعالى: (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء) سورة الكهف، الآية (45).

من أشكال الخطاب الدعوي الوعظ والإرشاد وفيه يفهم المخاطب بالمعاني التي وردت في هذا الوعظ ويتأسى بها، قال تعالى: (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله) سورة لقمان، الآية (13).

وقد يتشكل الخطاب الدعوي في صورة وعد حيث يبشر المؤمنين بالجنات التي أعدت لهم وعرضها السماوات والأرض.

وقد يأخذ الخطاب الدعوي شكل الوعيد لغير المؤمنين أو المسلمين غير الملتزمين ويحذرهم من النار التي أعدت لهم يوم القيامة.

1. عبد الحميد، د. محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي .. هيرفون فرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية ط1996م ص41.
2. الترابي، د. حسن عبد الله الترابي، قضايا الفكر ـ معهد البحوث والدراسات الاجتماعية ط2 1195م . ص80.
3. عفيفي، د. محمد صادق عفيفي، الفكر الإسلامي ـ القاهرة مكتبة الخانجي . بدون تاريخ ص12.

مصادر الخطاب في الإسلام

بما أنّ الخطاب هو في الأصل فكر كما سبق تعريفه فإنّ مصادره هي عبارة عن مصادر التشريع في الإسلام حيث يستمد التفكير في الإسلام أصله من هذه التشريعات الإسلامية والتي تأتي من مصادر اتفق جمهور العلماء عليها، وهي كما بينها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله (إذا قلنا الكتاب والسنة والإجماع فمدلول الثلاثة واحد، فإن كل ما في الكتاب فالرسول صلى الله عليه وسلم موافق له والأمة مجمعة عليه من حيث الجملة، فليس في المؤمنين إلا من يوجب عليه إتباع الكتاب، وكذلك كل ما أجمع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالقرآن يأمر بإتباعه فيه والمؤمنون مجمعون على ذلك، وكذلك كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه لا يكون إلا حقاً موافقاً لما في الكتاب والسنة) [1].

أولاً: القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي وهو المرجعية الأولى للفكر الإسلامي والمعبر عن الكليات التشريعية وفي ذلك جاء (المصدر الأول للتشريع الإسلامي هو القرآن الكريم، فالنص القرآني الواضح الجلي، والقواعد الكلية العامة هي المساحة التي يتسنى للمشرع التحرك بها والانطلاق منها، إنّ هذه المساحة النصية المقدسة لا تشكل عائقاً للعقل الفقهي من أن ينطلق بعيداً عنها أو يقربها بمعنى أنه يجد الفقيه حلول المشكل الفقهي من خلال ما في الواقع من أعراف وتحولات ومصالح متجددة عبر روحية النص القرآني) [2].

نص القرآن الكريم على العقائد تفصيلاً حتى لا يدع مجالاً للاجتهاد البشري في مجال العقيدة، وأي اجتهاد في ذلك يخرج الفكر إلى دائرة الشرك، بينما ترك مجال العبادات والمعاملات ليبينها ويفصلها الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو الحال في كيفية الصلاة وأوقاتها وشعائر الحج والأحوال الشخصية الأخرى فهي مجال تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والسنة المطهرة.

يقول الله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) سورة الأنعام، الآية (38) ، وهذا يدل على إحاطة القرآن الكريم بكل شي ء له علاقة بالدين أو الدنيا، لذلك نجد أن التفكير الإستراتيجي يدخل ضمن هذه الإحاطة ويؤكد هذا المعنى أيضاً بقوله تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين) سورة النحل، الآية (89)، وهذه الآية تبين أن القرآن كتابه هداية وأنه يحمل بين دفتيه كل ما هو مطلوب للحياة الدنيا والآخرة.

ثانياً: السنة:

السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع وهي المصدر الثاني للفكر الإسلامي باعتبار أن أقوال وأفعال وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم عبارة مرجعية فكرية للمسلمين (من المعلوم عن جميع أهل العلم أن السنة هي الأصل الثاني من أصول الإسلام وأن مكانتها في الصدارة بعد كتاب الله عز وجل، فهي الأصل المعتمد بعد كتاب الله عز وجل بإجماع أهل العلم قاطبة، وهي حجة قائمة مستقلة على جميع الأمة) [3].

1. مجموع الفتاوى (40/7).
2. أنظر موقع "فذكر" الإلكتروني . صنف الموضوع في 2009/02/12م . talipsanri1952.d3wh.com
3. بن باز، عبد العزيز بن باز، السنة ومكانتها في الإسلام وفي أصول التشريع . بموقعه الإلكتروني كشف الشبهات . www.khayma.com/kshf/r

كثير من الآيات تناولت مكانة السنة قال تعالى:(يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً) سورة النساء، الآية (59) ؛ وقال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً) سورة النساء، الآية (80). وقد تحدث القرآن على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكداً هذه المعاني قال تعالى: (قل يأيها الناس أني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) سورة الأعراف، الآية(158) فقد ربطت الآية الهداية بإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حذر المولى عز وجل عن مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) سورة النور، الآية(36).

إن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وتمثل قاعدة بيانات للتفكير الإستراتيجي لدى المسلمين بما تحمله من مضامين إستراتيجية خاصة بشؤون الدين والدنيا، فهي تطلق النصوص القرآنية المقيدة وتفصل النصوص القرآنية المجملة وتخصص النصوص العامة، إلى غير ذلك من وظائف تقوم بها السنة لتدخل في ذلك ضمن مصادر التفكير الإستراتيجي في الإسلام.

ثالثاً الإجماع:

هو اتفاق جميع العلماء المجتهدين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور على حكم شرعي، فإذا اتفق هؤلاء المجتهدون سواء كان في عصر الصحابة أو بعدهم على حكم من الأحكام الشرعية كان اتفاقهم هذا إجماعاً وكان العمل بما أجمعوا عليه واجباً[1].

يأتي الإجماع في المرتبة الثالثة من مصادر التشريع في الإسلام وكما جاء في تعريف الشيخ ابن تيمية لمصادر التشريع في الإسلام فهذه المصادر الثلاثة هي التي أجمع عليها جمهور العلماء.

إن الإجماع في حقيقته هو قمة أعمال الفكر على المستوى الأكاديمي بحيث يعالج هؤلاء المجتهدون المسألة الفقهية بحثاً، كما يمثل الإجماع قمة في العمل الشوروي بحيث يتفق هؤلاء المجتهدون وهم مجتمعون، وذلك أشبه بعمل اللجان العلمية ومراكز الأبحاث التي تجتمع العلماء والخبراء للوصول إلى حقيقة أمر ما. لذلك يعتبر الإجماع ضمن مصادر الخطاب الإسلامي لأنه يعبر عن أعمال الفكر استناداً على مجهول للوصول إلى المعلوم.

مجالات الخطاب الإسلامي

للخطاب في الإسلام مجالات وهي :

1. الكليات الإعتقادية:

وهي خاصة بالعقيدة حيث يكون التفكير في التوحيد وقضايا النبوءة واليوم الآخر والملائكة وسائر المسائل الغيبية.

1. للمزيد مجموع الفتاوى لابن تيمية 40/7.

يركز التفكير هنا على أن تكون العقيدة خالية من الشرك الذي يقعد بها ويخليها من الفعالية مما يقلل تفاعل المسلم مع خالقه والكون، بسبب الشرك في اعتقاده بما جاء في الكتاب والسنة من أمور عقدية، وهذه الكلية توقيفية ولا مجال فيها للاجتهاد فقط على المسلم الاعتقاد.

2. الكليات المقاصدية:

ضمن مجالات الخطاب الإسلامي، الكلية المقصدية وهي مجموعة تشريعات وضعها الإسلام لغايات محددة تعبر عن معاني أولية وغايات أساسية جامعة والتي لأجل تحقيقها خلقت المخلوقات ووضعت الشرائع والتكاليف، وتتمثل هذه الكليات في جلب المصالح ودرء المفاسد وإقامة العدل والتنافس في فعل الخير فالكليات المقاصدية مدار الخطاب الإسلامي .

3. الكليات الخلقية:

الأخلاق قاعدة سلوكية ومرحلة متقدمة في الرقي الإنساني وبها يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات لذلك لابد من أن تكون مجالاً للخطاب، يقول الريسوني (فالدين في جوهره ومجمل وظائفه وشرائعه إنما هو أخلاق وتخليق، لذلك قالوا الدين كله خلق) [1].

الكلية الخلقية بهذا المعنى في التفكير الإستراتيجي إنما تكمل منظومة الكليات الأخرى ولا يخفى على أحد عندما تغيب الأخلاق في الحضارات ما هي النتيجة، المحصلة هي مزيد من الفساد في الأرض وإلحاق الدمار بالأرض، لذلك ذهب التفكير الإستراتيجي في الإسلام إلى الاهتمام بهذه الأخلاق وشكلت كلية ضمن كلياته.

4. الكليات التشريعية:

الكليات التشريعية هي بمثابة قواعد أصولية يستمد منها الأحكام في الإسلام، فعلى الرغم من أن الإسلام كله تشريع إلاّ أن تخصيص كلية خاصة بالتشريع يأتي في سياق المنهجية الاصطلاحية، فجميع الكليات من عقدية ومقاصدية وأخلاقية إنما هي تشريع، ولكن التشريعية هنا إنما تعني ما هو مباح ومحرم وغير ذلك من أحكام تفصيلية مأخوذة من هذه الكليات الأصولية، يقول الريسوني (الكليات التشريعية قواعد أصولية فقهية كبرى لاستمداد الأحكام الشرعية العملية)[2].

1. الريسوني، د. أحمد الريسوني، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية . ط1428هـ ص73.
2. الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية . مرجع سابق ص75.

مطلوبات الخطاب الإسلامي المعاصر نحو الأمّة

هنالك صفات إذا توفرت في الخطاب الدعوي المعاصر تجعله يؤدي رسالته، وتتمثل هذه الصفات في:

وضوح الدلالة من غير إبهام:

فكلما كان واضحاً كان أدعى إلى الوصول للمستهدف، قال تعالى: (نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المرسلين* بلسانٍ عربيٍ مبين) سورة الشعراء، الآيات (193 ـ 195)، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية (أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر مقيماً للحجة دليلاً إلى المحجة)[1].

قوة الحجة:

كذلك من صفات الخطاب الدعوي قوة الحجة، فقوة الحجة هي التي تولد القناعة التي تحمل المدعو على الاقتناع بالمبادئ التي يدعو إليها، قال تعالى: (إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطانٍ مبين) سورة إبراهيم، الآية (1). سورة إبراهيم، الآية (10)، قال البغوي في تفسيره لسلطان مبين (حجة بينة على صحة دعواكم)"[2]". والمطلوب أيضاً للخطاب الدعوي أن يتصف بلغة التبليغ من حيث عناصر الرسالة وشمول جميع المخاطبين"[3]".

ولا بد للخطاب الدعوي أن يكون قوياً ظاهراً على ما سواه قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) سورة التوبة، الآية (33).

الإحاطة:

من مطلوبات الخطاب الدعوي أن يكون محيطاً وذلك يقتضي أن يوجه إلى الصفات العمرية المختلفة من أطفال وشباب وشيوخ، وأيضاً يشمل النوعين من الذكور والإناث، وهذا فيما يخص الأمة المسلمة أما غير المسلمين فينبغي أن يكون الخطاب مستهدفاً أيضاً النخب وبلغتهم والعلماء والعامة كلاً على حسب فهمه، وبذلك يكون الخطاب الدعوي قد حقق الإحاطة اللازمة التي تمكنه من تبليغ رسالته إلى كافة الناس، فالإحاطة تعني جماهيرية الخطاب وضرورة مخاطبته مختلف الفئات العمرية والطبقية والدينية.

المبادرة:

من صفات الخطاب الدعوي المبادرة بحيث يكون مبادراً ويتناول القضايا التي تهم المسلمين قبل وقوعها لا أن يكون مجرد خطاب ردود أفعال بل يجب أن يستشرف المستقبل دون أن يكون أسير الماضي أو ضحية الحاضر فحسب، بل عليه أن يجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل ولعلّ لدى الإسلام الكثير الذي يمكن قوله إلى الغرب يستشرف رؤية الإسلام لمستقبل العالم من أمن وسلام وازدهار وغير ذلك من قيم إنسانية تعبر عن تطلعات المسلمين المستقبلية.

مراعاة أدب الخلاف:

من مطلوبات الخطاب الإسلامي أيضاً مراعاة أدب الخلاف، والمخالفين في الرأي سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين محاربين أو غير محاربين، وكل هذه الفئات يخصص لها الخطاب الذي يحقق الغاية منه وفق منهجية محددة.

تحديث المصطلحات:

1 . تفسير ابن كثير34/3

2. تفسير البغوي 3/28.

3. بن عمر، د.علي بن عمر، انظر مفكرة الإسلام . أسس الخطاب الدعوي المعاصر بادحدح بتاريخ 06/نوفمبر/2004م . www.islamemmo

ويركز دكتور جمال أيضاً على أن إعادة النظر في بعض المصطلحات يعتبر من مقومات الخطاب الدعوي حيث سادت في أزمنة سابقة مصطلحات مربوطة بزمانها ومكانها وما عادت تعطي التفسير ذاته اليوم وكمثال على ذلك مصطلح دار الكفر ودار الإسلام فلو طبق هذا المصطلح بمعناه الحرفي اليوم كما يقول دكتور جمال فإنه لا يوجد دار الإسلام بمعناه الحرفي لدي الفقهاء في ذاك الزمان"[1]".

إن فهم واقع الفتاوى القديمة قبل تطبيقها يظل أيضاً من مرتكزات الخطاب الدعوي بحيث إن الفتوى مربوطة بزمانها ومكانها وهما يرسمان الظرف الذي صدرت فيه، فلا يعني أن نفس ذاك الظرف هو الذي نعيشه الآن فلا بد من مراجعة فهم الفتوى قبل إصدارها. **الوسائل الحديثة:**

من مطلوبات الخطاب الإسلامي استخدام الوسائل الحديثة لإيصال الرسالة التي لا تتنافى مع الشرع (وسل الخطاب الدعوي ينبغي أن تتطور بتطور العلم التقني لتواكب مطلوبات الأفراد ولتتمكن من الوصول إلى قلوبهم، ومن أهم هذه الوسائل الإذاعة والتلفزيون والإنترنيت والمجلات والجرائد وكل وسيلة من شأنها أن توصل ما في نفس المسلم الداعية إلى نفوس الناس)"[2]".

من مطلوبات الخطاب الدعوي أن تتوفر لكل من أراد أن يدعو عبر منبر دعوي سواء كان هذا المنبر تقليدياً كمنابر المساجد في خطب الجمعات أو غيرها أو كانت منابر حديثة متمثلة في الإذاعات المسموعة والمشاهدة أو الشبكة العنكبوتية أو الكتابة.

خصائص الخطاب الإسلامي

الربانية:

الربانية من خصائص الخطاب الإسلامي، وهذه الخصيصة متعلقة بالرب المشرع.

الخطاب الإسلامي ملتزم بمعالم الطريق إلى الله حيث يهدي إلى الله سواء كان سلوكاً أو اعتقاداً لتنتفي بذلك عنه صفة الهوى وعدم الموضوعية يقول د. الترابي: «إن الفكر الإسلامي فكر ملتزم بمعالم الطريق إلى الله وليس فكراً مجرداً أو هوى معربداً بل هو تفهم وتفقه للشريعة الإسلامية، ففي الدين الحقائق الثابتة والمعاني التي اشترعها الله، كلية أو فرعية على وجه القطع والدوام، ولكن فيه فكر المسلمين الذين يأخذون تلك المعاني بالشرح ويقدمونها دعوة للآخرين أو يتفهمونها لكي يطبقوها في واقع معين»[(3)]

الربانية خصيصة من خصائص الخطاب الإسلامي ويستمد منها قدسيته ومنها تتبلور سائر الخصائص الأخرى كذلك .. يقول سيد قطب في معرض حديثه عن التصور الإسلامي: (فهو تصور اعتقادي موحى به من الله سبحانه ومحصور في هذا المصدر لا يستمد من غيره .. وذلك تمييزاً له من التصورات الفلسفية التي ينشئها الفكر البشري حول الحقيقة الإلهية أو الحقيقة الكونية أو الحقيقة الإنسانية والارتباطات القائمة بين هذه الحقائق ، وتمييزاً له كذلك من المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية ويستطيع الإنسان أن يقول وهو مطمئن: إن التصور الإسلامي هو التصور الإعتقادي الوحيد الباقي بأصله (الرباني) وحقيقته الربانية)[(4)].

يستدل سيد قطب على الربانية بقوله تعالى: (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) سورة الأنعام، الآية(191)..

الثبات:

الثبات من خصائص الخطاب الإسلامي، فهناك ثبات المقاصد الكلية في الإسلام وثبات مصادر التشريع مما يعني ثبات الفكر.

1. عبد الستار، د. جمال عبد الستار، إسلام أون لاين. مرتكزات الخطاب الدعوي.. بتاريخ: 21/أغسطس/2005م.
2. إسلام ويب. وسائل الخطاب الدعوي والتكنولوجيا الحديثة. بتاريخ: 2004/11/04م. www.islamweb.net

3. د. الترابي، حسن الترابي، قضايا التجديد، ص 81 .
4. سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. القاهرة دار الشروق ط«1998مص43».

وبما أن الفكر الإسلامي تتصدر خصائصه الربانية فلا بد لهذه الربانية أن تجعل من هذا الفكر ثابتاً لا تغيره الأهواء ولا تبدله المواقف شأن الفكر البشري إن خاصية الثبات تظل ملازمة للفكر الإسلامي فثبات المصادر والأصول للفكر الإسلامي هي التي تنعكس على الفكر الإسلامي لتجعله فكراً ثابتًا، يقول سيد قطب: (هناك ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية وقيمه الذاتية. فهي لا تتغير ولا تتطور، حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية.. فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التطور ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة ولكن يقتضي السماح لها بالحركة، بل دفعها إلى الحركة ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت) [1].

إن الحقائق الثابتة في الفكر الإسلامي والتي لا تقبل الأخذ والرد وتتمثل في حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، إن الكون بما فيه من خلقه تعالى، حقيقة الإيمان بالله وأركان الإيمان والإسلام وأركانه كل هذه الحقائق هي ثابتة ولا تقبل أي تغيير وتبديل.

إن خصيصة الثبات هي التي تعصم الخطاب الإسلامي من الانحراف وتعصم المسلمين من الانحطاط في المعتقد يقول الله تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سورة الروم، الآية (30). وفي هذا المعنى يقول المستشرق ديفيد سانتيلانا في كتابه تراث الإسلام (عبثاً نحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها التشريعات الشرقية والغربية "الإسلامية والرومانية" كما استقر الرأي على ذلك. إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغير أفكارنا أصلاً) [2].

الشمول:

الخطاب الإسلامي في شموله يحيط بكل أوجه الحياة.(شمول الفكر الإسلامي إنما يعبر عن شمول الإسلام كنظام للحياة، يفي بمتطلبات الحياة في مجال العقيدة والاقتصاد والسياسة والقانون وسائر متطلبات الحياة المجتمعية، هذه المجالات جميعها سيغطيها الفكر الإسلامي)[3]، يقول دكتور الهاشمي: (صلح الإسلام أن يكون منهج حياة شاملاً متكاملاً، منهجاً يشمل الاعتقاد في الضمير والتنظيم في الحياة ،بدون تعارض بينها، بل في ترابط وتداخل يعز فصله)[4]. وفي ذات المعنى يقول الله تعالى: (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) سورة يس، الآية (12).

جاءت الشريعة شاملة كل أصول الحياة الإنسانية وجوانبها المتعددة بحيث تناولت حياة الفرد والأسرة والمجتمع والأسس التي تقوم عليها الدولة والعلاقات الدولية.

يقول د. الترابي في معنى الشمول: (ينبغي أن نحدث ثورة في تجديد فقهنا أو فكرنا الديني لنستدرك هذه المتأخرات عبر القرون الطويلة ولنضفي روح التدين على كل هذه القطاعات الجديدة من الحياة التي لا حكم اليوم للدين فيها. قد يعلم المرء اليوم كيف يجادل إذا أثيرت الشبهات في حدود الله ولكن المرء لا يعرف اليوم تماماً كيف يعبد الله في التجارة أو السياسة أو يعبد الله في الفن. كيف تتكون في نفسه النيات العقدية التي تمثل معنى العبادة، ثم لا يعلم كيف يعبر عنها عملياً بدقة) [5].

التوازن:

التوازن من خصائص الفكر الإسلامي فهو الذي يجعل الخطاب الإسلامي متوازناً لا يجنح إلى أحد أطراف النقيض.

1. سيد قطب. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. القاهرة دار الشروق ط«1998م ص72 .
2. مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق – الموقع الالكتروني www.madinacenter.com/post.php بدون تاريخ .
3. عبد الرحمن، د. علي عيسى عبد الرحمن، الإسلام وقضايا الفكر المعاصر . ص6.
4. الهاشمي، د.محمد علي الهاشمي، المجتمع المسلم كما بينه الإسلام في الكتاب والسنة . دار البشائر الإسلامية بيروت ط2002م ص15.
5. د.الترابي، حسن الترابي قضايا التجديد 96

خصيصة التوازن في الفكر الإسلامي هي التي تجعله الخطاب لا يجنح إلى أحد طرفي النقيض فهي التي توازن بين مصادر المعرفة من وراء الغيب والشهادة بحيث تجعل المسلم لا يشتط في استيعابه لعالمي الغيب والشهادة، وعن طريقها يتوازن المسلم بين الخوف والرجاء فهو كما يقرأ قوله تعالى: (واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب) سورة البقرة، الآية (196) فإنه يقرأ قوله: (إن الله بالناس لرءوف رحيم) سورة البقرة، الآية (146)[1].

إنّ الخطاب الإسلامي متوازناً يتميز بالوسطية والاعتدال وإلا فإنه عرضة لعوامل الفناء المختلفة.

عن طريق التوازن أيضاً يعبد المسلم ربه بعيداً عن التطرف والرهبانية أو إهمال ما يجب أن يقوم به من تكاليف، ليتخذ بين ذلك طريقاً متوازنا يؤدي ما عليه من فرائض وما يستطيع من سنن دون إفراط أو تفريط.

ويكون التوازن في الإنفاق حيث ينفق المسلم وهو يراعي جانب الاتزان قال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) سورة الإسراء، الآية (29).

الواقعية:

الواقعية بالمعنى الإستراتيجي تعني المرونة في الخيارات بحيث يستطيع الإنسان التنقل بين الخيارات المطروحة أمامه وفق التخطيط المسبق.

إن الواقعية خاصية من خصائص الفكر الإسلامي وأي فكر لا يتفاعل مع الواقع هو بالضرورة فكر مثال، لا مجال له في عالم التطبيق. لذلك كان الفكر الإسلامي واقعيا يعبر عن الوجود بواقعية على مستوى الكون المرئي، كما أن نظام العبادة هو الآخر واقعي يستطيع البشر ممارسة العبادة خلافا لبعض الشعائر المثالية التي يعجز البشر عن أدائها وان الله لا يكلف نفسا إلا وسعها (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) سورة البقرة، الآية (285).

هذه الواقعية لا تقتصر فقط في مجال المحسوس والعبادة المفروضة، بل تتجاوز ذلك حيث أن الانفصام بين الواقع الطبيعي والعلم الشرعي لا أصل له بمعايير الإسلام ولابد لنا أن نحرر العلوم الطبيعية ونربطها بالدين رباط العالم بالعلمين معا ومن ثم نستطيع أن نواكب العصر مجددين للدين.

إن واقعية التفكير الإستراتيجي في الإسلام هي التي تجعله تفكيراً عملياً يلبي متطلبات الحياة الدنيا والآخرة.

الاستمرارية:

من الخصائص الإستراتيجية للفكر الإسلامي التشكل الدائم والصيرورة المستمرة استجابةً لمتطلبات الواقع (الفكر الإسلامي فكر في حالة التشكل الدائم والصيرورة المستمرة، وهو في تشكل يتأثر بالواقع ومتطلباته ويتأثر كذلك ببعض ما لدى التيارات والوضعيات الأخرى، وهذا يجعل حركة تطوره أسرع من حركة تطور الفقه والفتوى)[2]، هذا الشكل في غير الثوابت القطعية بل في مجال الاجتهاد والتجديد الديني.

التعبدية:

من خصائص الخطاب في الإسلام إنه خطاب تعبدي فكل ما خص بالاقتصاد أو المجتمع أو السياسة وعموم الحياة يدخل في إطار التعبد لأن المسلم يبتغي بذلك وجه المولى عز وجل وفي إشارة للخطاب التعبدي يقول المولى عز وجل (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) سورة الأنعام، الآيات (162، 163).

1. عبد الرحمن، د.علي عيسى عبد الرحمن، الإسلام وقضايا الفكر المعاصر . (مجموعة بحوث) ص7.
2. بكار، د. عبد الكريم بكار . مرجع سابق.

يقول دكتور الريسوني:(فالتشريع في الإسلام ذو وظيفة تعبدية وتربوية أولاً ثم بعد ذلك تأتي وظيفته القانونية والاجتماعية والسياسية، فوظيفة فض المنازعات وتحديد الحقوق والواجبات وحفظ الأمن والنظام، فهو يعتمد في ذلك على البعد التربوي والإيماني قبل اعتماده على الوازع القضائي والسلطاني) [1].

الشراكة الدينية:

من خصائص الخطاب في الإسلام خصيصة الشراكة الدينية، أي أنّ الإسلام يشترك في شرعه مع الديانات الإسلامية الأخرى المنزلة التي لم تحرف، قال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما أوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) سورة الشورى، الآية(13).

هذه الآية بالإضافة إلى أنها تبين وحدة المصدر مما يؤكد الشراكة هنا في المنبع، فهي أيضاً تدعو إلى عدم التفرق في إقامة الدين استناداً على أصوله التشريعية والتي هي كليات في العقيدة والأخلاق، وقد تختلف في بعض الجزئيات والفروع الخاصة بالعبادات والأحوال الشخصية.

الإيجابية:

الإيجابية تعني الموضوعية وتعني المبادرة وتعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخطاب الإسلامي في مقاصده الكلية يتضمن هذه المعاني، فالمسلم وعن طريق التربية الإسلامية يتربى على الإيمان والورع والطاعة والحشمة والطهارة والصبر والأمل والتوكل وحب العلم والعفو والإيثار والتضحية والرحمة والإحسان. كل هذه الصفات تجعل من الشخصية المسلمة شخصية إيجابية وتجعل الخطاب الإسلامي ايجابياً ينفعل بسائر قضايا الكون، فهي ليست سلبية تقف في زاوية وتنظر إلى ما يدور حولها بل تشارك في الفعل تنفيذاً أو أمراً أو نهياً، قال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) سورة آل عمران، الآية (104).

بفضل إيجابية الإسلام دخل القلوب فاعتنقه الكثيرون حتى من غير أولئك الذين تعود جذورهم إلى الإسلام، يقول المستشرق الفرنسي مونتيه (من المتوقع لعقيدة محدودة كل التحديد خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية ثم هي تبعاً لذلك في متناول إدراك الشخص العادي أن تمتلك وأنها تمتلك فعلاً قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس)[2].

ويقول الباحث كونن في كتابه الأديان القومية والأديان الكونية عن الإسلام (نجد أركان العقيدة تلقى دون انقطاع تعبيراً ظاهراً في حياة المؤمن، ثم نجدها بعد أن أصبحت متشابكة مع نظام حياته اليومية تشابكاً لا سبيل إلى الفكاك منه تجعل المسلم الفرد إماماً ومعلماً لعقيدته أكثر إلى حد بعيد مما هي الحال مع أنصار معظم الديانات الأخرى)[3].

يقول المستشرق مارسيل في كتابه إنسانية الإسلام (لا تمييز في العقيدة الإسلامية بين الموجب القانوني والواجب الخلقي، وهذا الجمع بين القانون والخلق يؤكد قوة النظام منذ البداية)[4].

1. د. أحمد الريسوني، الريسوني، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية . ط 1428هـ ص (17 . 18).
2. نقلاً عن كتاب توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام . أنظر مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق . les propaganda crintienneetes adversaries Muslumann _ Paris
3. أنظر مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق بالشبكة الدولية . B. kunen _National Religions and Universal Religions
4. أنظر مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق بالشبكة الدولية.

هذه شهادة المنصفين من المستشرقين عن إيجابية الإسلام التي جعلت منه ديناً مقبولاً لدي الجميع خلافاً لبقية الديانات المحرفة منها والوضعية التي لا تحظى بهذه الإيجابية ، فخالق البشر هو أدرى بطبائعه.

العالمية:

من خصائص هذه الأمّة الوسط هي تلكم العالمية التي جاءت الدعوة الإسلامية لتحقيقها حيث تحدثت كثير من آيات القرآن الكريم عن هذه العالمية كما تحدثت السنة النبوية عنها . أن السمة العالمية في الإسلام ظهرت في وقت مبكر ومنذ البداية ، قال تعالى:(ٱلْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ) سورة الفاتحة الآية (2). حيث أنه رب لكل العالمين ،كما قال تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) سورة الأنبيا ء الآية (107). حيث تتبين أبعاد الرسالة وأهدافها وقال تعالى: (وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) سورة القلم الآية (52). حيث ان ما جاء به الرسول هو ذكر لهؤلاء العالمين ، وقال تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) سورة سبا الآية (28). تبين الآية عالمية الرسالة الإسلامية حيث أرسل الرسول إلى الناس كافة منذراً ومبشرا ، فتبين أبعاد هذه الدعوة الإسلامية وانطلاقها نحو العالمية ولم تتكون بعد الدولة الإسلامية بالمدنية لأن الآيات هنا مكية . وإن المتأمل لهذه الآيات القرآنية يقف على حقيقة مفادها إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ولما كانت الدعوة عالمية فإن من مقتضيات هذه العالمية الإنسانية لتصبح العالمية مظهرا لإنسانية الدعوة الإسلامية.

إن عالمية الدعوة الإسلامية تأتي من جملة المعاني التي تحملها (هنالك آيات تؤكد الجوانب الإنسانية والعالمية في الإسلامية من منطلق المحبة والمساواة وإلغاء التمييز العنصري ومنها قوله تعالى : (يأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوۤاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات الآية (13) ومما يؤكد هذا المعنى العالمي الإنساني ما رافق هذه الآية في سورة الحجرات من آيات تنهى عن العادات السيئة في الجاهلية من تفاخر ومنازعات وتؤكد على أن) المؤمنين أخوة (وتحث على المصالحة بين الذين يختلفون منهم بالعدل) واقسطوا إن الله يحب المقسطين (كما تنهاهم عن الهمز والسخرية والغمز والتنابز بالألقاب وعن التجسس والاغتياب.. الخ)[1].

كما نجد في تفسير ابن كثير ما يدل على عالمية الدعوة الإسلامية ووسطيتها على مستوى الدعوات وذلك في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) سورة البقرة الآية (143). ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية (إن الله تعالى يقول إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام) مكة(وأخذناها لكم لنجعلكم خيار الأمم ولتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع يعترفون لكم بالفضل والوسط هنا الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا وداراً أى خيرها وكان الرسول وسطها في قومه أي أشرفهم نسبا والوسط أيضا بمعنى العدول)[2] . باكتساب هذه الصفات لأصحاب الرسالة الخاتمة استحقوا أن تصبح رسالتهم عالمية .

إن الأمة الإسلامية وباعتبارها خير الأمم استحقت هذه العالمية (يقول الإمام محمد عبده في تفسير الآية) كنتم خير أمة (هذا الوصف يصدق على الذين خوطبوا به أولا وهم النبي) ص(وأصحابه الذين كانوا معه عليهم الرضوان فهم الذين كانوا أعداء فألف بين قلوبهم

1() العيس، شبلي العيس، عروبة الإسلام وعالميته، دار بيروت 1985م ص 126 .

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول ص 190 ومعنى الوسط في تفسير الجلاليي الخيار والعدول

فكانوا بنعمته أخوانا – وفق الآية 103 من سورة آل عمران نفسها – وتكون خيرية الأمة وفضلها على غيرها في أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله)[1].

استحقت أمة الإسلام الخيرية بفضل قيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلكم رسالة تقوم بها اليوم منظمة عالمية وهي منظمة الأمم المتحدة التي تكتسب الصبغة العالمية لأجل ما تقوم به لتصبح الدعوة الإسلامية أول من أمر بذلك.

إن عالمية الإسلام تتضح من خلال تعامله مع أهل الكتاب إذ سعى إلى استيعابهم في حظيرته الشاملة ، لأنهم أهل ديانة سماوية ولا ينبغي لأهل الديانات ذات الأصل الواحد التناحر لذلك كان حديث الإسلام إلى أهل الكتاب فيه التسامح (لقد كان الإسلام منذ البداية واضحا وعتيقا في مقاومة المشركين وتسفيه معتقداتهم ولكنه كان وديا وإيجابيا مع الأديان السماوية بوحدانية الإله ويعترف بدورها في الهداية والإصلاح، وذلك بالرغم من نقده لبعض المواقف والمفاهيم التي سادت بين معتنقيها في تلك المرحلة . وهنالك آيات عديدة تؤيد هذا الذي نذهب إليه منها (وَلاَ تُجَادِلُوۤاْ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوۤاْ آمَنَّا بِٱلَّذِيۤ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) سورة العنكبوت الآية (46). كما تحدث القرآن الكريم عن الآنبياء من قبل الرسالة الخاتمة حديثا يقر فيه بوحدانية المصدر ، قال تعالى : (وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَـٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيّاً لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ) سورة الأحقاف الآية (12). وإن القرآن الكريم قد نزل (قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) سورة البقرة الآية (97). ليصبح الأمر كله في نهاية الأمر إن الإسلام ينسخ ما سبقه من شرائع سماوية ، قال تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّابِئُونَ وَٱلنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) سورة المائدة الآية (69). وقال تعالى : (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِٱللَّهِ وَمَلاۤئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ) سورة البقرة الآية (285). ومن هذه الآيات تتضح النظرة الإيجابية من الأديان السماوية كاليهودية ولئن استهدفت تحييدها والاعتراف بها بدورها ولكن هذا لا يمنع من اعتبار المسلمين للإسلام على أنه الأفضل والأكمل مما سبقه ، قال تعالى : (إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) سورة الإسراء الآية (9). وهذا بدوره يقتضي توجيه شئ من النقد والتصحيح لما طرأ من مفاهيم خاطئة على تلك المعتقدات التي مضت على ظهورها قرون عديدة واستجدت في خلالها ظروف وأوضاع جديدة اقتضاها منطق التغيير والتطور في حياة الشعوب والمجتمعات .

كان خطاب الدعوة وديا أمر المسلمين بعدم الاعتداء ، قال تعالى : (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ) سورة البقرة الآية (190). وكان المسلمون يتمنون على أعدائهم أن يكفوا عن مقاومتهم حتى لا يعودوا هم لمحاربتهم ، قال تعالى : (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً) سورة الإسراء الآية (8). وقال تعالى :(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) سورة الحج الآية (39). وقال تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ) سورة البقرة الآية (190) وقال تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) سورة البقرة الآية (216). وقال تعالى: (وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) سورة الأنفال الآية (61). وهكذا نلاحظ من مضمون هذه الآيات ان الإسلام يرى في القتال أمرا مكروها وغير مستحب ويحث المسلمين على ألا يكونوا المبادرين به ولا المعتدين على غيرهم وألا يقاتلوا إلا

(1) تفسير المنارة ، مجلد 4 ص 58..

دفاعا عن النفس وضد من يحاول إخراجهم من ديارهم وعندما يشعرون بأنهم مظلومون كما أنه يطالبهم بقبول السلم إذا قبل به أعداؤهم.

من مظاهر العالمية في الدعوة الإسلامية في السنة النبوية دعوة الملوك والأمراء غير العرب للإسلام تمهيدا لإعلان إسلام العالم (من المواقف العلمية الدالة على الإسلام، إن افراد من غير العرب قد انضموا إليه من وقت مبكر وكذلك الرسائل التي بعث بها الرسول العربي إلى النجاشي في الحبشة والمقوقس في مصر وملوك الفرس والروم والأمراء المجاورين يدعوهم فيها إلى الإسلام وغني عن القول أنه لو كان مقتصرا على العرب ولم يحمل منذ نشأته هذا المنطلق العالمي لما كانت ثمة حاجة لتوجيه هذه الرسائل وبخاصة إن المسلمين الأوائل لم تكتمل بعد قوتهم ولم تتماسك دولتهم ولم تتحقق سيطرتهم التامة على شبه الجزيرة كلها، ومن ثم فإن دعوة كهذه تثير مخاوف هؤلاء الملوك والأمراء وتفتح أذهانهم على المسلمين وتثير شكوكهم وربما حسدهم الأمر الذي يخلق المتاعب في طريق الإسلام وهو في بدايته وهذا ما كان الرسول في غنى عنه ويستطيع تجنبه لولا دافع العقيدة والشعور المستمر بواجب التبشير بها بين جميع الشعوب والأمم)[1].

لقد كانت دوافع العالمية هي التي جعلت الرسول يكتب هذه الرسائل إلى الأمراء والملوك وكان على الرسول أن يبلغ هؤلاء الملوك والأمراء ولو بعضهم ممن يطغي في مثل هذه الحالات ولكن العبرة هي بإبلاغ الرسالة إلى جميع العالمين لتصبح حجة ، ومن نماذج هذه الرسائل تلك التي بعث بها إلى هرقل في السنة السادسة للهجرة وجاء فيها (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . السلام على من أتبع الهدى . أما بعد اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وأن تتول فإن عليك إثم الاريسيين عليك) [2].

لقد كان توجيه القرآن للرسول بأن يحمل المبادرة مهما كان الأمر ، وقد ورد في القرآن الكريم : (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) سورة آل عمران الآية (64). لقد كانت الأجوبة على الرسائل متفاوتة بين الخشونة ورد الفعل المتشدد كما فعل أمراء غسان وكسرى وملك الفرس الذي مزق الرسالة وعلق قائلا (يكتب إلى هذا وهو عبدي)[3]. فدعا الرسول إن يمزق ملكه، وبين الإهمال وعدم الاكتراث كما فعل هرقل) ملك الروم (وبين المرونة والليونة كما فعل المقوقس في مصر حيث استقبل رسوله بما يجب من كرم مع بعض الهدايا ولكنه لم يسلم خوفا من الروم وأما النجاشي فقد رد أيضا ردا جميلاً)[4].

لقد توغل الإسلام بعمق في أنحاء العالم وهو يرفع شعار هذه العالمية حيث تجاوزت رسالة الإسلام الجزيرة العربية وانطلقت نحو العالم (ومن أروع معجزات التاريخ البشري أن التي أنشئت في قرية صغيرة من قرى العرب والتي كانت عبارة عن بضعة أميال مربعة في مساحتها وعن بضعة الآف نفس من سكانها استطاعت ان تبسط سلطان الله في جزيرة العرب في غضون ثماني سنوات فقط ، أنها في هذه المدة القصيرة غزت رقعة من الأرض كانت تحتوي على مليون ميل مربع فأكثر وكان من بدائع هذا الفتح إن الناس لم يصبحوا مستسلمين للسلطان السياسي لهذه الدولة فحسب بل انقلبت بسببه نظراتهم إلى الأشياء رأساً على عقب وتغيرت مقاييسهم للقيم وتبدلت أخلاقهم وخصالهم ظهرا لبطن وحصل انقلاب جذري في عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وطرأت على حضاراتهم ومدنيتهم ثورة لم تغير وجهة تاريخهم فحسب بل غيرت مجرى تاريخ العالم بأسره فانتهج الناس نمطا جديدا من السلوك وغاية جديدة للحياة)[5].

---

1 عروبة الإسلام وعالميته ص 135.

2الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج3 ص 87 .

3 الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج3 ص 87 ، دار الفكر بيروت ط1979م

4(الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج3 ص87 .

5 المودودي، أبو الأعلى المودودي، الإسلام اليوم القاري العربي ، القاهرة ط1991م ص 14 .

المبحث الثاني
الخطاب الإسلامي إلى الملل الأخرى في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام

يمثّل أهل الكتاب في دولة الرسول بالمدينة أقلية وتكريما لهم أطلق عليهم أهل الذمّة جاء في لسان العرب: (فالذمة هي العهد والأمان والكفالة وأهل الذمة هم المعاهدون من أهل الكتاب ومن جرى مجراهم والذمي هو المعاهد الذي أعطى عهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه) [1]. الإسلام يضمن للذميين كيانهم الديني والثقافي والمجتمعي يقول المصري (الأقليات هم الذين يقطنون في الدولة الإسلامية من غير المسلمين سواء كانوا مولودين بها أو طلبوا حق المواطنة (الجنسية) ومنح لهم هؤلاء يضمن لهم الإسلام المحافظة على ديانتهم وثقافتهم وأموالهم وأعراضهم ومعابدهم وجميع حرماتهم والدفاع عنهم ضد أي اعتداء، لهم مالنا وعليهم ما علينا)[2]. ليصبح الإسلام بهذه الكيفية الوجه الإنساني لسائر الحضارات الأخرى التي تضطهد الأقليات التي تعيش معها، وإذا كان أطلق عليه اسم (أهل الذمة) بمعنى أن لهم ذمة الله تعالى وذمة رسوله وذمة جماعة المسلمين، فهي إذاً ليست عبارة ذم بل عبارة توحي بوجوب الرعاية والوفاء تديناً وامتثالاً لشرع الله وليس هناك مانع شرعاً من حذفها إذا كانت مدعاة أذى. مر الإسلام بمراحل مختلفة كانت له مواقفه مع غير المسلمين (في المرحلة المكية تجد الإشارة إلى الإسلام كان ودوداً مع المسيحيين ومع اليهود، ذلك انه في تلك المرحلة كان المجتمع المكي يتألف من أهل كتاب وكفار وكان من الطبيعي أن يكون النبي مع أهل الكتاب ضد الكفار لأسباب إيمانية وليس لأسباب تكتيكية كما ادعي بعض المستشرقين عن سوء نية، وبالتالي كان خطابه أقرب إليهم وإلى معتقداتهم ففي الجوهر لم تكن الدعوة الإسلامية متناقضة مع الإيمان بالله عند أهل الكتاب بل كانت مكملة له) [3] إن وشائج التوحيد التي تجمع بين ديانة الرسول الخاتم وديانة أهل الكتب الأخرى هي التي تجعل من الديانة السماوية جميعها عقائد متقاربة متفاهمة هذا في المرحلة المكية.

أما في المرحلة المدنية اتخذ التشريع الإسلامي طابع بناء الدولة على قاعدة وحدة الأمة، هنا بدأ التباين بين المسلمين واليهود فالذين تنكروا للمسيح الذي ظهر بينهم ومنهم لم يؤمنوا بمحمد الذي ظهر بين العرب تزامن هذا التباين مع سلسلة من الحملات العسكرية التي قام بها مشركو مكة ضد الإسلام في المدينة لمنع قيام دولته ولكي يتجنب الرسول صلي عليه وسلم مواجهة جبهتين جبهة المشركين القادمين من الخارج من خارج المدينة . وجبهة اليهود لتحييدهم عاهد أهل الكتاب هذه المعاهدات أرست قاعدة العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب وتطورت بعد ذلك وفقاً لتطور الدولة الإسلامية قي عهد الخلفاء الراشدين، فقد ورد في نظام المدينة أن (لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم إلا من ظلم أو أثم) وأن المؤمنين من قريش والمؤمنين من يثرب ومن انضم إليهم وقاتل معهم هم أمة واحدة وأن اليهود يؤلفون أمة واحدة مع المؤمنين وأن (لمن تبعنا من اليهود حق في تلقي العون من المسلمين والمساعدة طالما أنهم يعملوا ضدهم أو يقدموا العون لعدوهم) [4]

نكث اليهود مع المسلمين أولاً في معركة بدر حيث أقاموا علاقات سرية مع كفار قريش، ثم في معركة أحد عام 625م فقد تحرك اليهود ضد المسلمين عندما شعروا أن المسلمين على قاب قوسين أو أدنى من الهزيمة [5] رد المسلمين بعد هزيمتهم في أحد بالسيطرة على المواقع

1ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة .

2المصري، عبد السميع المصري، منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع ،مكتبة القاهرة ط 1994م ص80 .

3 السماك، محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد ، دار النفاش بيروت ط 1995م ص194 .

4 عثمان، سعيد عبد الرازق عثمان، دولة الرسول بالمدينة ، دراسو مقارنة مع دستور السودان لسنة 1996م ، رسالة دكتوراة أعدها.

5 الطبري ، اعلام الورى باعلام الهدى ص96 .

اليهودية تدريجياً إلى أن انتهى الأمر بالاستيلاء على خيبر معقل اليهود إن الموقف الإسلامي كما تبين من هؤلاء اليهود إنما اتسم بعدم المعاداة وما قام به المسلمون بعد نقض اليهود للعهد إنما يتمثل في واجب الدفاع.

يقول صاحب البدائع : (وتتجلى السماحة الإسلامية في معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب . يهود كانوا أو نصارى . فقد كان يزورهم ويكرمهم ويحسن إليهم ويعود مرضاهم ويأخذ منهم ويعطيهم)[1].

في عهد الخلفاء عليهم السلام :

كذلك ورد في الأثر عن أصحاب الرسول عليهم السلام كانوا يعاملون أهل الذمة معاملة حسنة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى في آخر أيام حياته بأهل الذمة فقال : (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً أن يوفي بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفهم فوق طاقتهم)[2]. وجاء في العهد الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهل القدس (أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها : انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود) [3].

لقد نص الفقهاء المسلمون على اعتبار أهل الذمة من دار الإسلام بحكم دفعهم للجزية (والفقهاء المسلمون نصوا على أن أهل الذمة يعتبرون من دار الإسلام لأن المسلمين حين أعطوهم الذمة فقد التزموا رفع الظلم عنهم والمحافظة عليهم .. وعلى ذلك فلأهل الذمة حق الإقامة في دار الإسلام آمنين مطمئنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وعلى الإمام حمايتهم من كل من أراد بهم سوء ومنع من يقصدهم بالأذى من المسلمين أو الكفار واستنقاذ من أسر منهم واسترجاع ما أخذ من أموالهم) [4] .

عهد ما بعد الخلفاء الراشدين :

لقد اتسعت دائرة التعامل الإنساني مع الأقليات غير المسلمة والسنة النبوية وسنة الخلفاء تشهد على وجود مواقف كثيرة ومما روي في هذا الإطار (عندما فتح القائد المسلم إمارة (الباب) قال له ملكها (شهر براز) أنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصفوي (ميلي وتوجهي وولائي) معكم .. فلا تذلونا بالجزية، تشاور المسلمون واستقر الرأي على إسقاط الجزية عنهم رغم المغايرة الدينية والقومية، فهم فرس لقيام الوحدة والولاء والانتماء للسلطة والدولة الواحدة وأصبح هذا الموقف سنة متبعة وصار ذلك سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين)[5].

ويذهب المودودي إلى أكثر من ذلك وهو يتحدث عن الأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية حيث يرى أن الوحدة الإنسانية التي تربطهم مع المسلمين تجعلهم جديرين بالاشتراك في المجالس البلدية والمحلية(إن بيننا وبين الأقوام غير المسلمين وحدة الإنسانية ، ولهم أن يشتركوا مع المسلمين في المجالس البلدية والمحلية ويخضع الجميع للقوانين الجنائية والمدنية والإدارية الواحدة)[6]. لذلك حتى الجزية التي كان يدفعها أهل الذمة عوضاً عن مشاركتهم في الحرب مع المسلمين فقد كانت تسقط عند اشتراكهم في الحرب . حدث ذلك في أرمينيا ونصت عليه معاهدة القائد المسلم سراقة بن عمر . عامل عمر بن الخطاب مع أهل أرمينيا إذ جاء فيها (على أن يوضع . يسقط . الجزاء (الجزية) عمن أجاب إلى ذلك الحشر (الحشد للقتال) والحشر عوض من جزائهم (جزيتهم) ، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما

1) البدائع للكاساني الجزء 5 ص281 .

(2) يحى بن آدم، الخراج المطبعة السلفية، القاهرة عام 1352هـ ص74 .

(3) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج1 .

(4) الكاساني، البدائع الجزء 5 ص281 .

5) الطبري، ابن جرير الطبري، التاريخ ، دار المعارف القاهرة 1970م ج4 ص156 .

6) المودودي، الحكومة الإسلامية، ترجمة أحمد ادريس طبعة القاهرة عام 1977م ص153 .

على أهل أذربيجان من الجزاء (الجزية) [1]. (كذلك نجد نصارى حمص عندما حاربوا في صفوف أبو عبيدة عامر بن الجراح في موقعة اليرموك ضد الروم البيزنطيين) [2].

لقد أكدت الشواهد الكثيرة إنسانية الإسلام مع الأقليات غير الإسلامية ، ولما كانت الذمة بمثابة عقد بين الدولة الإسلامية والأقلية من أهل الكتاب فإن رعاية هذا العقد من أوجب واجبات الدولة المسلمة (عقد الذمة ليس معاهدة بالمعنى الصحيح ولكنه رابطة لا تنعقد بين دولتين بل دولة من وجهة ورؤساء مجموعة شعبية من الكتابيين من جهة أخرى وهذه الرابطة تنشئ واجبات ليس فقط تجاه الدولة الإسلامية ولكن تجاه كل مسلم على حدة وكل ذمي أو كتابي . ومن هنا يتضح أن لها مفعول القانون لأنه عندما يخالفها الذمي يتحمل وحده نتيجة المخالفة وليس طائفته كلها) [3] . هنالك شواهد كثيرة في التاريخ الإسلامي تشهد بحسن معاملة الدولة المسلمة للأقليات غير المسلمة (إن التاريخ الإسلامي حافل بالأمثلة والقواعد للتعامل بين المسلمين وغير المسلمين) [4] .

إن أهل الكتاب في الدولة الإسلامية شغلوا مناصب تنفيذية مختلفة فلولا الرؤية الإسلامية الإنسانية لما ساوت بينهم والمسلمين (وقد تبوأ أهل الكتاب في الدولة الإسلامية مراكز قيادية أساسية في السلطة باستثناء القضاء (لأن القضاء في الدولة الإسلامية قضاء شرعي لا يمكن أن يتولاه من لا يؤمن به وباستثناء الرئاسة الأولى أو الخلافة يقول السماك :(لأن الخليفة والرئيس هو إمام المسلمين ولا يمكن أن يؤم المسلمين من لا يؤمن بالإسلام) ولعل من أكثر ما يشد الانتباه هو أنه حتى خلال الحروب الصليبية لم يكن أمين المال عند صلاح الدين الأيوبي مسلماً بل كان من أهل الكتاب) [5].

إن القيم الإنسانية الراسخة في الإسلام والتي استطاع بموجبها أن يساوي بين العرب والعجم في إطار الملة الواحدة نجد أن ذات المبادئ والقيم فهي محفوظة لغير المسلمين، يقول السماك :(لقد استطاع الإسلام أن يساوي بين العرب ومنهم النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر الشعوب الإسلامية الأخرى مساواة كاملة في الحقوق والواجبات فلم تفرض الصلاة خمس مرات على المسلم العربي وخمسين مرة على المسلم غير العربي فالناس متساوون كأسنان المشط، والمؤمنون يشكلون جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [6] .

التاريخ الإسلامي حافل بالأمثلة والقواعد للتعامل بين المسلمين وغير المسلمين العرب، ونذكر من هذه الأمثلة والقواعد ما يلي: عندما فرضت الجزية على نصارى بني تغلب في الشام رفض هؤلاء دفع الجزية اعتقاداً منهم أنها تتنافى مع الكرامة، فاصطدموا بالسلطة الإسلامية وأدى ذلك الاصطدام إلى التحاقهم بالروم المسيحيين غير العرب الذين كانوا في حالة حرب ضد الإسلام، هنا اقترح النعمان بن زرعة على الخليفة عمر بن الخطاب أن يجبي منهم الجزية باسم الزكاة فوافق عمر ومن بعده أقر الفقهاء قاعدة تقول إذا كان قوم غير مسلمين لهم قوة وشوكة وامتنعوا عن أداء الجزية إلا إذا صولحوا على ما صولح عليه بنو تغلب، وضيق الضرر يترك إجابتهم إلى طلبهم ورأى الإمام إجابتهم دفعاً للضرر، جاز ذلك إذا كان المأخوذ منهم بقدر ما يجب عليهم من الجزية زيادة قياساً على ما فعله عمر مع

1 أبادي، محمد حميد الله الخير أبادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، طبعة القاهرة 1956م ص326 .

2 د. صلاح الدين المنجد، فتوح البلدان ، البلاذري، تحقيق ، صبعة القاهرة 1956م ص189 .

3د. حسن الزين، الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية حتى الفتح العثماني ، دار الفكر الحديث بيروت ط 1988م.

4 ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة ، ج2، تحقيق صبحي صالح ط1961م ص657 .

5 السماك، محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارت والنظام العالمي الجديد، دار النفائس ط 1995م ص200 .

6 السماك، محمد السماك، الأقليات بين العروبة والإسلام ، دار العلم للملايين بيروت ط 1990م ص147 .

نصارى تغلب[1]. جاء في كتاب الأموال (ونصارى العرب يهودهم مجوسهم من بني تغلب وغيرهم لا جزية عليهم ولو بذلوها ويؤخذ عوضها زكاتان من أموالهم) [2].

عندما أغار البيزنطيون على الشام اجتاحوا مناطق كانت تسكن فيها قبائل عربية مسيحية وكانت هذه القبائل قد ارتضت بالحكم الإسلامي ودفعت الجزية وأثناء الاجتياح جيشت قوة لمقاتلة البيزنطيين المسيحيين إلى جانب إخوانهم العرب المسلمين من أجل ذلك أعاد أبو عبيدة بن الجراح إليهم الجزية التي سبق أن دفعوها ووجه إلى وجهائهم كتاباً قال فيه: (إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا الناس من الجموع وأنكم اشترطتم أن نمنعكم (أي نحميكم) وإنا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم)[3]. تبين لنا هذه الحادثة مدى رعاية المسلمين لالتزاماتهم فعندما يشعرون بالعجز عن الوفاء فإنهم يتنازلون عن ما يأخذونه حتى لا يصبح دون حق.

عهد خالد بن الوليد مع نصارى الحيرة وقد جاء فيه (وجعلت لهم أي شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه جزيته وعيل من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام)[4]. مع أن قبيلة بكر بالكوفة اعتنقت الإسلام في معظمها إلا أن رئيساً كان يدعى أبجر بن جابر بقي مسيحياً، ومع ذلك لم يجد الحكم الإسلامي أي غضاضة في ذلك)[5].

في العهد العباسي كان يتم تعيين كبير النساطرة ببغداد من قبل الخليفة العباسي وذلك بعد موافقة أهل دينه وفي عهد تعيينه نص يوكل إليه مراعاة شؤون أهل دينه ويذهب بعض الفقهاء إلى حد القول أن لأهل الكتاب حق الحكم بشرائعهم في كل ما لا يمس أمن الأمة وأن الشريعة الإسلامية هي حجة على المسلم وله فقط) [6].

عندما تمرد المسيحيون في جبل لبنان على الوالي العباسي صالح بن علي وقعت سلسلة من الاشتباكات المسلحة بين جيشي الوالي والمتمردين، فأعد الوالي جيشاً كبيراً لاجتياح الجبل معتبراً أن التمرد كان نقضاً للعهد غير أن الإمام الأوزاعي أصدر فتواه الشهيرة التي قال فيها (ولقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن فرج على خروجه . فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وحكم الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى فإنهم ليسوا عبيد ولكنهم أحرار أهل ذمة)[7].

عندما فتح عمر بن الخطاب القدس أبرم عقداً مع وجهاء المدينة أعطاهم فيه (الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبرئيها وسائر ملتها أنها لا تسكن ولا تهدم ولا تنتقص منها ولا حيزها ، ولا (شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم)[8].

1 الجوزية، إبن قيم الجوزية، راجع الأحكام لأهل الذمة ، ، الجزء الثاني ص657 ، تحقيق صبحي صالح 1961م .

2 أبي عبيدة، الأموال صفحة 29 ، راجع مشهي الإرادات 329/1 .

3 الطبري تاريخ 2044/1 .

4 أبي عبيدة الأموال ص 295 .

5 الأغاني 83/8 .

6 الطحاوي اختلاف الفقهاء ص216 .

7 د. صبحي محمصاني ، الامام الأوزاعي ص54 .

8 تاريخ الطبري 2045/1 .

المبحث الثالث

مرتكزات الخطاب الإسلامي نحو أهل الكتاب

دستور المدينة يضع الأسس

وقد رسم دستور المدينة الذي وضعه الرسول عليه السلام أنموذجاً لتعاليم المسلمين مع أهل الكتاب من اليهود (وأن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة)[1]. لقد ذهب بعض المفكرين المسلمين إلى حد مشاركة أهل الكتاب وغير المسلمين في الدولة المسلمة في الحكم إذا وافقوا على الدستور الإسلامي وكان ولاؤهم للفكر الإسلامي مع بقائهم على معتقداتهم الدينية الخاصة (فإذا رضوا بمبادئ الإسلام وقبلوها يفتح لهم باب الدخول في الجماعة الحاكمة فلو رضي غير المسلمين بحاكمية الشريعة الإسلامية لا نتقي مبرر التمييز في الجماعة الحاكمة بينهم وبين المسلمين)[2].

حرية الاعتقاد

حرية الاعتقاد من المبادئ التي يقوم عليها الإسلام ومن أوضح النصوص القرآنية دلالة على حرية الاعتقاد في الإسلام، قوله تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) سورة الكهف، الآية(29).

هكذا يعطى الإسلام حرية الاعتقاد لمن أراد اعتناقه دون أن يجبر أحداً، قال تعالى: (فمن كفر فعليه كفره) سورة فاطر، الآية (39). يبين المولى عز وجل عاقبة الكفر ليهيئ بذلك السبيل لمن أراد الإيمان أو أراد الكفر بلا إكراه مبينا أن الدين هو الإسلام (إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب* فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتو الكتاب والأميين ءأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) سورة آل عمران، الآيات (19 ـ 22).

بشأن حرية الاعتقاد يقول الله تعالى: **(وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ)** سورة يونس، الآية (99). يقول المصري (يؤكد المولى عز وجل هنا أن مسألة الإيمان إنما هي وفق المشيئة الإلهية لذلك ينبغي أن لا ترتبط بسائر الأمور الإنسانية الأخرى)[3].

لقد رعى الإسلام حق الرعاية حرية التفكير لا سيما في حثه على التمحص في الدين نفسه ودفعه للتأمل بقضايا الوجود سواء ذلك فيما يتعلق بالله جل شانه أم بمخلوقاته.

1 نهاية الأرب النوير ، دار الكتب المصرية ج6 ص348 .

2 كاظم، محمد كاظم، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، ترجمة سباق طبعة بيروت عام 1969م ضمن نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون ص350.

3المصري، عبد السميع المصري، للمزيد انظر منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع ، ص81 .

ولما كان هدى الإسلام هو الإشارة الى مواطن الخلل والقصور في النهج غير الإسلامي فهو بذلك إنما يمهد السبيل إلى حرية العقيدة وذلك بعد بيان الحق وتفنيد الباطل يقول مرسي (الإسلام دين سمح يشجع على الحرية في التفكير والحرية في إبداء الرأي ويدعو إلى تبادل المودة والتراحم بين بني البشر) [1] .

إن إنسانية الإسلام مع أهل الذمة كانت مثابة الضمانة الكافية لبقائهم على دينهم دون إكراه (إن تطبيق مبدأ حرية المعتقد الذي اعتمد منذ بداية الدعوة يبدو شديد الفعالية في هذا المجال لأنه يمنع كل أنواع الإكراه لا سيما التحول إلى الإسلام تحت ضغط العنف والقوة)[2].

لقد اتسمت العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب بالاحترام المتبادل حيث أن حرية الاعتقاد التي تعتبر من مبادئ الإسلام كان لها أثرها في العلاقة الحميدة (إن تطبيق مبدأ حرية المعتقد الذي اعتمد منذ بداية الدعوة يبدو شديد الفعالية في هذا المجال لأنه يمنع كل أنواع الإكراه لا سيما التحول إلى الإسلام تحت ضغط العنف أو القوة)[3]

تشجيع المسلمين على مؤاكلتهم ومصاهرتهم

حرصاً من الإسلام على أن تسير الحياة سلسة بين الأقليات غير المسلمة فقد جاء في تشريعاته المحكمة ضرورات إزالة الحواجز معهم ، يقول الله تعالى عن أهل الكتاب وحسن الصلة بهم **{ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ }** سورة المائدة، الآية (5). حيث أحل الله في هذه الآية للمسلمين وجوز لهم طعام الذين أوتوا الكتاب وفي المقابل طعام المسلمين لأهل الكتاب كما جعل الزواج منهم جائزاً . وليس هناك علاقة أقوى من الزواج ولا أسمى**{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }** سورة الروم، الآية (21). فعلاقة الزواج والمصاهرة هي من أمتن الروابط التي تجمع بين الزوجين من ناحية وبين الأسر المتصاهرة ليصبح الإسلام بذلك نموذجاً إنسانياً لانديا ح الوشائج الإنسانية.

مجادلتهم بالتي هي أحسن

احتراماّ من الإسلام لأهل الكتاب فقد أمر المسلمون بالتأدب في حديثهم مع أهل الكتاب وأمرنا بالتسامح معهم حتى في الجدال : **{وَلاَ تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ آمَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }** سورة العنكبوت، الآية (46).

إن الإسلام وهو يرسم المنهج الحضاري لتعامله مع أهل الكتاب فهو يأمرنا بأن لا نجادلهم إلا بالتي هي أحسن.

البر والإحسان اليهم

وها هو الأمر الإلهي بالعدل معهم وحسن الصلة بهم: **{لاَّ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ }** سورة الممتحنة، الآية (8). جاء في الجامع لأحكام القرآن :(لا ينهاكم الله عن أن

1) الدين للحياة ، د.مرسى ص 62

2 زيهر، قولد زيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ، الترجمة العربية ، دار الكتب الحديثة القاهرة بدون تاريخ ط2 ص310 .

3 راجع قولد زيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، الترجمة العربية ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة القاهرة ص310 .

تبروا الذين لم يقاتلوكم وهم خزاعة وتعطوهم من أموالكم على وجه الصلة وليس يريد به العدل فإن العدل واجب في من قاتل وفي من لم يقاتل قاله ابن العربي) [1] . (أما الجزية فهي ضريبة تحصل مقابل إعفائهم من التجنيد أما إذا اشتركوا في الدفاع عن الأمة والوطن فتسقط عنهم)[2]. ولا يعتبر هذا تمييزاً للأقلية غير المسلمة بقدر ما هو أمر واجبات تتمثل في فريضة الجهاد وهي من التشريعات التي يعتمد عليها الإسلام.

العفو والصفح عنهم

مضمون الخطاب الإسلامي إلى أهل الكتاب يشتمل على العفو عنه وهي قيمة إسلامية معززة للتواصل مع أهل الكتاب.

أدلة العفو والصفح العام عن أهل الكتاب وغير المسلمين تتمثل في قوله تعالى: **{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** سورة البقرة، الآية (109). فمن ظاهر نص الآية وعلى الرغم من حرص أهل الكتاب على عداوة المسلمين إلا أن القرآن يدعو إلى الصفح والتجاوز، قال تعالى: **{لَتُبْلَوُنَّ فِيۤ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوۤاْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلأُمُورِ)** سورة آل عمران، الآية (186). فعلى الرغم من الأذى الذي يتعرض له المسلمون من المشركين وأهل الكتاب إلا أن المقابل هو الصبر على الأذى. **{وَقِيلِهِ يٰرَبِّ إِنَّ هَٰؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)**سورة الزخرف، الآيات (88،89). فالآية هنا تدعو إلى الصفح والتجاوز عن جهالات هؤلاء الذين لا يؤمنون، **{قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)** سورة الجاثية، الآية (14). فالمغفرة هنا بمثابة العفو عنهم والتجاوز عن هفواتهم ، قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ)**سورة الحجر، الآية (85). هذه هي دعوة الإسلام بضرورة الصفح والعفو عن غير المسلمين وهي دعوة إنسانية في مقامها الأول.

إن الإسلام وهو يؤكد إنسانيته في مجال الدعوة فإنه إنما يحمل المبادرة الحسنة لأهل الكتاب وقد تميزت عهود الإسلام بتلك العلاقة القائمة على مزيد من الصفح والعفو عن ما يصدر من جهالات أهل الكتاب والمشركين . حتى المواقع التي أمر المولى عز وجل فيها بقتال المشركين وأهل الكتاب إنما هي المواقع التي تستدعي وجوب الدفاع عن الدين والوطن وهي ما يعبر به الحالات الاستثنائية ولكن الإسلام في أحواله العادية لا يدعو إلى قتال الغير.

1 القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد التاسع ، مؤسسة مناهل العرفات بيروت بدون تاريخ ص59 .

2 عبد السميع، منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع، ص81 .

الخطاب الإسلامي نحو الكفار والمشركين

كفار ومشركو مكّة كانوا في طليعة من واجه الإسلام ودخلوا في حروب عرفت بالغزوات، انتهت بانتصار الإسلام عليهم وفتح مكّة التي أصبحت مدينة مسلمة.

مرتكزات الخطاب الإسلامي نحو الكفار والمشركين:

دعوتهم إلى الإسلام:

يبيّن القرآن للكافرين بالدليل المادي حقيقة الإيمان ليهتدي أولئك الكفار قال تعالى :**{أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى ٱلإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ* وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى ٱلأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ* لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ* إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ* فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلأَكْبَرَ* إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**) سورة الغاشية، الآيات (17 ـ 26).

بهذا التوجه الإلهي يلفت أنظار المدعوين إلى بعض دلائل القدرة الإلهية وكيف أحكم الله خلق الإبل ورفع السماء بلا عمد ونصب الجبال ومهد سطح الأرض لتيسير الحياة عليها وبعد هذا الأنموذج من الدعوة بالوسائل السلمية التي تستقطب العقول وتأسر القلوب توجه إلى رسوله فأمره بالتذكير بل حصر مهمته فيه (إنما أنت مذكر) وعلى ما تقدم في قوله : **{فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ وَقُلْ لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ**) سورة آل عمران، الآية (20) . فإن مهمة الرسول هنا كما هي هنالك محصورة في التذكير لا تتعداها إلى أي أمر آخر ومع أن هذا المعنى مفهوم من دلالة التركيب فإن القرآن أكده مرة أخرى (لست عليهم بمصيطر) أي لا سلطة لك عليهم بعد التذكير والإنذار والتبشير .

إن صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم كان حريصاً كل الحرص على إسلام قومه وقد بذل من ذلك الجهد رغبة في أن يقبلوا الإسلام. ومن تعقبات الوحي الرحيم على حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وتحمله المشاق الزائدة على المطلوب في هدايتهم وحزنه صلى الله عليه وسلم الشديد على إعراضهم من تلك التعقبات قوله تعالى: **{طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰٓ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ**) سورة طه، الآيات (1ـ 3). قال صاحب الكشاف (أي ما عليك إلا أن تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد إن تفرط في أداء الرسالة والموعظة الحسنة) [1] .

لقد رعى الإسلام حق الرعاية حرية التفكير لا سيما في حثه على التمحص في الدين نفسه ودفعه للتأمل بقضايا الوجود سواء ذلك فيما يتعلق بالله جل شأنه أم بمخلوقاته حتى أن الآيات القرآنية أنزلت للحث على ترك الباطل والتمسك بأهداب الحق والإيمان بالله يتسم بأرق وألين الصيغ البيانية والأخذ بيد الإنسان سلوكاً بمدارج الفكر الواعي للحقائق البينة مما يزدهر معه العقل البشري منفتحاً على رحيب الآفاق ، قال تعالى : **{وَمَا يَسْتَوِي ٱلأَحْيَآءُ وَلاَ ٱلأَمْوَاتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ**) سورة فاطر، الآية (19).

حرية الاعتقاد

1 الامام الزمخشري، الكشاف، 529/2 .

أعطى الإسلام حرية الاعتقاد لمن أراد اعتناقه دون أن يجبر أحداً، قال تعالى: **{هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي ٱلأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلاَ يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلاَ يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً }** سورة فاطر، الآية (39)، يبين المولى عز وجل عاقبة الكفر ليهيئ بذلك السبيل لمن أراد الإيمان أو أراد الكفر بلا إكراه مبيناً أن الدين هو الإسلام.

يبيّن الإسلام أمر الذين كفروا متعلق بعقولهم التي تفقه وتتدبر دون أن يجبروا على عقيدة التوحيد، أما مهمة الدعاة جميعاً . رسلاً وغير رسل . في البلاغ وحده وليس لهم سلطة الجبر والقهر على قبول الإسلام لأن الله قد قصر مهمة الرسل على البلاغ المبين فغيرهم من الدعاة أولى بهذا القصر ، وحين يخرج الدعاة عن هذا ويرون أن من سلطتهم استعمال القوة لفرض الإسلام يكونون في حاجة إلى دعاة آخرين أكثر منهم بصراً وبصيرة ليعلموهم أدب الدعوة إلى الحق . كيف تكون لهم سلطة الإجبار؟ ومن النصوص القرآنية التي تؤكد هذا المبدأ قوله تعالى : **{قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلاَغُ ٱلْمُبِينُ }** سورة النور، الآية (54). وقال تعالى : **{وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ }** سورة الرعد، الآية (40). قال تعالى :**(فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ* لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)** سورة الغاشية، الآية (17).

ولما كان هدي الإسلام هو الإشارة إلى مواطن الخلل والقصور في النهج غير الإسلامي فهو بذلك إنما يمهد السبيل إلى حرية العقيدة وذلك بعد بيان الحق وتفنيد الباطل (الإسلام دين سمح يشجع على الحرية في التفكير والحرية في إبداء الرأي ويدعو إلى تبادل المودة والتراحم بين بني البشر)[1].

العفو والصفح عنهم

إن المبادئ الإنسانية التي يتعامل بها الإسلام من رحمة وعفو وتسامح يتعامل بها الإسلام لكل الإنسانية بغض النظر عن الديانة سواء كانت مسيحية أو يهودية أو أي ديانة وضعية بما في ذلك المشركون . فالإسلام يعامل بالاعتبارات الإنسانية لا لأي شيء آخر لتصبح القيمة الإنسانية هي الأساس للتعامل مع المشركين ، قال تعالى : **{وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ }** سورة الحجر، الآية (85) . كما قال تعالى **{خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ }** سورة الأعراف، الآية (199).

الدعوة إلى الإحسان عليهم

وفي تطبيق هذه المبادئ من البر والإحسان والتسامح جاء تاريخ الإسلام بأروع الأمثلة الإنسانية فها هو القرآن يأمر الابن المسلم الذي يحاول والداه المشركان أن يخرجاه من التوحيد إلى الشرك فيأمره بالإحسان إليهما قال تعالى: **{وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }** سورة لقمان، الآية (15). كما يدعو الإسلام إلى الإنفاق على الأقرباء والجيران من غير المسلمين، قال تعالى: **{لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }** سورة البقرة، الآية (272). إن المولى عز وجل قد حسم مسألة الإيمان في الأزل وجعل الرابطة الإنسانية العامة محوراً يمكن أن

(1)د. مرسي، الدين للحياة، ص62 .

تدور حوله العلاقات الإنسانية بغض النظر عن المعتقد وذلك في قوله تعالى: **{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**) سورة يونس، الآية (99).

قتالهم دفاعاً عن النفس والعقيدة

قتال المشركين إنّما كان دفاعاً عن النفس والعقيدة، يقول المصري : (إذا كان غير المسلمين في حالة سلم فهم والمسلمون في نظر الإسلام إخوان في الإنسانية يتعاونون على الخير العام، إن الإسلام لا يخرج عن هذا الوضع الطبيعي إلا إذا امتدت إليه يد العدوان ووضعت أمامه العراقيل وهنا يقر لأهله أن يردوا العدوان بالعدوان إقراراً للسلم لقوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) سورة الحج، الآية (39)[1] . (وذلك لأن السلم هو الأصل في العلاقات الإسلامية فإنه لم يكن اذ الإكراه طريقاً للدعوة إلى الله تعالى لقوله : **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**) سورة الحج، الآية (99). (وها هو الاعتراف العالمي بكفاية القانون الإسلامي لحاجات البشر وثروته الشرعية في قرار المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد في باريس في 7 يوليو سنة 1951م) وهذا نصه (إن المؤتمرين وقد أبدوا الاهتمام بالمشاكل المثارة أثناء أسبوع القانون الإسلامي وما جرى في شأنه من مناقشات أوضحت بجلاء ما لمبادئ القانون الإسلامي من قيمة لا تقبل الجدال كما أوضح أن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام القانوني الكبير إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية والفن البديع فكل هذا يُمكن لهذا القانون من تلبية جميع حاجيات الحياة العصرية) [2] .

-

خطاب الإسلام إلى المنافقين

موقف المنافقين من المسلمين

المنافقون هم الخطر الغاشم على الإسلام والمسلمين، لأنّهم يعملون داخل الصف المسلم ويعلمون كل صغيرة وكبيرة عن الإسلام لذلك كان خطرهم أشدّ على المسلمين، لم يقم القرآن بإعمال السلاح في رقاب المنافقين للقضاء على دابرهم ولم يحل بينهم وبين حقوقهم في الحياة ولم يصادر حرياتهم لا في قول ولا في فعل ولكنه وقف منهم موقفاً سليماً فاقتصر دوره على فضح مؤامراتهم وكشف أسرارهم وتحذير المسلمين من ألا ينخدعوا لهم وتهديدهم بسوء المصير ونهى الله صاحب الدعوة عن الركون إليهم والصلاة عليهم إذا ما ماتوا ثم الاستغفار لهم أحياءً وأمواتاً.

فقد أرجف المنافقون إرجافاً شنيعاً وقت غزوة الخندق التي تحالفت قريش مع من استطاعت من قبائل العرب على غزو المدينة مقر الدولة الإسلامية الناشئة وهي المعروفة بغزوة الأحزاب. وكان هدف المنافقين صد الناس عن الخروج مع صاحب الدعوة لإضعاف قوته وتمهيداً لانتصار قريش وحلفائها عليه.

لقد كانت أفعال المنافقين جديرة بأن ينتقم منهم المسلمون فكانوا يشيعون روح التخاذل ويكذبون وعد الله ورسوله ويقولون **{وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً**) سورة الأحزاب، الآية (12). إن التخذيل في مثل هذه المواقف الحاسمة له أثر عظيم فهم لا يكتفون بالتشكيك بل يحرضون الناس على الانسلاخ من قوات الدعوة وينصحونهم بالعودة إلى المدينة ويقولون **{وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ**

(1)المصري، عبد السميع المصري، منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع ، ص82 .

(2)وصفي، د. مصطفي كمال وصفي، المشروعية في النظام الإسلامي ، القاهرة ط 1970م ص52،53 .

إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً) سورة الأحزاب، الآية (13). ويبدأون بتنفيذ مؤامراتهم فيستأذنون النبي في الرجوع إلى المدنية من ميدان القتال بدعوى حماية أموالهم وأسرهم من اللصوص **{وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً**) سورة الأحزاب، الآية (13).

مرتكزات الخطاب الإسلامي مع المنافقين

فضح سلوكهم

تجاه هذه المؤامرات الدنيئة من قبل المنافقين ماذا صنع القرآن إزاء ذلك كله ؟ لم يخط نحوهم خطوة واحدة فيها أمر بقتالهم والإطاحة بأعناقهم وسبي نسائهم وذويهم ومصادرة أموالهم أو حتى حرمانهم من حقوقهم المدنية ، بل اقتصر دوره على تكذيبهم وكشف الأسباب الحقيقية لهروبهم .القرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعو إلى مسالمة المنافقين وفي سورتي الأحزاب والتوبة تصدى القرآن سلمياً لكثير من ألاعيب المنافقين في حدود الإطار العام لموقف الدعوة منهم حيث إنها دعوة تحمل في طياتها مبادئ وقيماً إنسانية تدعو إلى المحبة.

هكذا كانت دعوة الإسلام حيث لم يأمر بإنزال أقصى العقوبة بل اكتفى بتعريتهم وفضحهم وحين ادعوا أن بيوتهم عورة فقال القرآن (وما هي بعورة) ثم أفصح عن السبب الحقيقي الذي حملهم على ما صنعوا (إن يريدون إلا فراراً) وأنهم بسبب نفاقهم لو اقتحم عليهم العدو دورهم ثم طلب منهم الانقضاض على النبي وصحبه والإعلان عن كفرهم صراحة لما تلكأوا لحظة في إجابة ما طلبه العدو منهم **{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلاَّ يَسِيراً**) سورة الأحزاب، الآية (14). ثم يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم **{قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**) سورة الأحزاب، الآية (16). هكذا يتتبع القرآن الكريم الأساليب السليمة في تعامله مع المنافقين دون أن يستخدم القوة ضدهم.

هنالك الكثير من الممارسات النفاقية التي يفضحها الإسلام حيث نجد كثير من الآيات المدنية تتحدث عنهم فقد أطالت سورة التوبة الوقوف أمام مخادعات المنافقين وتلون مواقفهم وقد عرفنا من قبل سلوكيات المنافقين في غزوة الأحزاب وفيما سجلته عليهم سورة التوبة ما ينبئ عن مسلكهم في غزوة الأحزاب فقد نكصوا على أعقابهم وكرهوا الخروج في سبيل الله. ففي إظهار الشماتة بصاحب الدعوة والذين معه واجه القرآن هذه الجريمة مواجهة الناصح الأمين **{إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ**) سورة التوبة، الآية (50). كانت مواجهة القرآن الكريم لهم **{قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ**) سورة التوبة، الآية (51).

وفي طعنهم على تصرف صاحب الدعوة في توزيع الصدقات كان رد القرآن عليهم : **{وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ*وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ آتَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَاغِبُونَ**) سورة التوبة، الآيات (58، 59)، لكان ذلك خيراً لهم، وحين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم (هو أذن) أي يصدق كل ما يسمع لغفلته وعدم فطنته كان الرد عليهم **{وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) سورة التوبة، الآية (61). رد عليهم دعواهم أبلغ رد أي هو مصدر خير لكم لو أطعتموه ولا تشتبه عليه الأمور كما تقولون بل هو بالغ الذكاء والفطنة يميز بين الخير والشر والحق والباطل. وحين فرحوا بتخلفهم عن الجهاد في تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا: **{فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوَاْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ**) سورة التوبة، الآية (81). جاء الرد عليهم **{فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ**

ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ*فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ) سورة التوبة، الآيات (81، 82). يقول عبد العظيم: (في هدوء تصدي القرآن لافتراءات المنافقين وهتك أستار نفوسهم وعراهم أمام الرأي العام ولكن لم يصادر حرياتهم ولم يسلب أمنهم ولم يضيق عليهم في حل ولا ترحال بل إن القرآن الكريم ليذهب في السماحة إلى أبعد من ذلك فتراه في موضع آخر يفتح أمامهم باب التوبة ويرغبهم فيها لينسوا ماضيهم ويقبلوا على عهد جديد يبدل الله فيه سيئاتهم حسنات: **{إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا *إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا**) سورة النساء، الآيات (145، 146).

إخماد الفتن

اتجه الخطاب الإسلامي مع المنافقين إلى تجنب الفتن فالفتن الدينية من أعقد المشكلات حلاً وأسوأها آثاراً ، نظر الإسلام لهذه الاعتبارات فنجد القرآن العظيم نهى عن التجادل في شئون العقيدة الدينية ولم يرخص أن ينصب نفسه قاضياً للفصل بين الطوائف الدينية لأن لا أحداً من الخلق يصلح للقيام بهذه المهمة . لذلك أرجأ الفصل في شؤون العقيدة لله وحده يوم يقوم الناس لرب العالمين، ترى ذلك واضحاً جلياً في قوله تعالى: **{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ**) سورة الحج، الآية (17).

هكذا عالج الإسلام أمر المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويضمرون الكفر فبإمكانه أن يعجل بردعهم ولكن حفاظاً على تماسك المجتمع ولو ظاهرياً لم يردع المنافقين.

أبقى الإسلام على علاج ظاهرة النفاق في الإطار الظاهري ما دام أظهروا الإسلام أو لم يتعرضوا مباشرة للمسلمين ولم يواجهوهم ميدانياً ، مر الخطاب الاسلامي بمراحل مختلفة منذ صدر الاسلام ودولة الخلفاء الراشدين مرورا بالممالك الأموية والعباسية والفاطمية وغيرها وقوفا عند الدويلات والخلافة الاسلاميةّ عبر كل تلك المراحل تفاعل الخطاب الاسلامي مع الواقع مؤثرا فيه ومتأثرا به وقدم في كل تلك المراحل فكرا هاديا للانسانية أرسي دعائم نهضتها وعصمها من الانهيار .

الخاتمة

اختتم البحث بنتائج وتوصيات وتشمل :

أولا :النتائج :

1.الخطاب الإسلامي المقصود به الفكر الإسلامي لأن الخطاب قبل أن يصبح كلاماً يسمع فهو في الأصل فكر.

2.مصادر الخطاب في الإسلام **تتمثّل في** القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهرة وهي المصدر الثاني والإجماع وهو المصدر الثالث للخطاب الإسلامي .

3.في الخطاب الإسلامي لا تناقض بين العلم والدين مما جعل العلم يزدهر في الإسلام

4.تميّز الخطاب الإسلامي بقدرته الفائقة على التكيف مع التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

5.يستحق الخطاب الإسلامي أن يصل الى الإنسانيّة فهو يتميز بنظام أخلاقي يستمد مبادئه العامة من التشريعات الكلية للإسلام ، وهي عبارة عن جملة من مكارم الأخلاق والرقي المدني .

كما توصل الباحث الي ان مطلوبات الخطاب الإسلامي المعاصر نحو الأمّة تتمثل في:

ا. وضوح الدلالة من غير إبهام .

ب. وقوة الحجة والإحاطة والمبادرة .

ت.مراعاة أدب الخلاف .

ث.تحديث المصطلحات واستخدام الوسائل الحديثة .

التوصيات

1. العمل على تطوير الخطاب الاسلامي
2. اعتماد الحكمة والموعظة الحسنة في ايصال الخطاب الإسلامي.
3. التأسي بهديه صلى الله عليه وسلم في التعامل مع غير المسلمين حيث يعكس هذا التعامل معاني وقيم الإسلام .
4. مراجعة الخطاب الاسلامي
5. تحديث الخطاب الاسلامي ومرتكزاته لتلبية مطلوبات العصر

المصادر والمراجع

1. . عبد الحميد، د. محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي .. هيرفون فرجينيا . الولايات المتحدة الأمريكية ط1996م ص41.
2. . الترابي، د. حسن عبد الله الترابي، قضايا الفكر ـ معهد البحوث والدراسات الاجتماعية ط2 1195م . ص80.
3. عفيفي، د. محمد صادق عفيفي، الفكر الإسلامي ـ القاهرة مكتبة الخانجي . بدون تاريخ ص12.
4. مجموع الفتاوى (40/7).
5. أنظر موقع "فذكر" الإلكتروني . صنف الموضوع في 2009/02/12م . talipsanri1952.d3wh.com
6. بن باز، عبد العزيز بن باز، السنة ومكانتها في الإسلام وفي أصول التشريع . بموقعه الإلكتروني كشف الشبهات . www.khayma.com/kshf/r
7. للمزيد مجموع الفتاوى لابن تيمية 40/7.
8. الريسوني، د. أحمد الريسوني، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية . ط1428هـ ص73.
9. الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية . مرجع سابق ص75.
10. . تفسير البغوي 3/28.
11. . بن عمر، د.علي بن عمر، انظر مفكرة الإسلام . أسس الخطاب الدعوي المعاصر بادحدح بتاريخ 06/نوفمبر/2004م . www.islamemmo
12. عبد الستار، د. جمال عبد الستار، إسلام أون لاين . مرتكزات الخطاب الدعوي .. بتاريخ: 21/أغسطس/2005م.
13. إسلام ويب . وسائل الخطاب الدعوي والتكنولوجيا الحديثة . بتاريخ: 2004/11/04م .
14. د. الترابي، حسن الترابي، قضايا التجديد، ص 81
15. . سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. القاهرة دار الشروق ط«1998مص43».
16. سيد قطب. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته. القاهرة دار الشروق ط«1998م ص72 .
17. مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق – الموقع الالكتروني www.madinacenter.com/post.php بدون تاريخ .
18. عبد الرحمن، د. علي عيسى عبد الرحمن، الإسلام وقضايا الفكر المعاصر . ص6.
19. الهاشمي، د.محمد علي الهاشمي، المجتمع المسلم كما بينه الإسلام في الكتاب والسنة . دار البشائر الإسلامية بيروت ط2002م ص15.
20. د.الترابي، حسن الترابي قضايا التجديد 96
21. عبد الرحمن، د.علي عيسى عبد الرحمن، الإسلام وقضايا الفكر المعاصر . (مجموعة بحوث) ص7.
22. بكار، د. عبد الكريم بكار . مرجع سابق.
23. د. أحمد الريسوني، الريسوني، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية . ط 1428هـ ص (17 . 18).
24. نقلاً عن كتاب توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام . أنظر مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق . les propaganda crintienneetes adversaries Muslumann _ Paris
25. أنظر مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق بالشبكة الدولية . B. kunen _National Religions and Universal Religions
26. أنظر مركز المدينة لدراسات وبحوث الاستشراق بالشبكة الدولية.
27. العيس، شبلي العيس، عروبة الإسلام وعالميته، دار بيروت 1985م ص 126 .
28. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول ص 190 ومعنى الوسط في تفسير الجلالين الخيار والعدول
29. تفسير المنارة ، مجلد 4 ص 58..
30. عروبة الإسلام وعالميته ص 135.
31. . لطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج3 ص 87 .
32. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج3 ص 87 ، دار الفكر بيروت ط1979م
33. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج3 ص87 .
34. المودودي، أبو الأعلى المودودي، الإسلام اليوم القاري العربي ، القاهرة ط1991م ص 14
35. بن منظور، لسان العرب، دار المعارف القاهرة .
36. المصري، عبد السميع المصري، منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع ،مكتبة القاهرة ط 1994م ص80 .

37. السماك، محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد ، دار النفاش بيروت ط 1995م ص194 .
38. عثمان، سعيد عبد الرازق عثمان، دولة الرسول بالمدينة ، دراسو مقارنة مع دستتور السودان لسنة 1996م ، رسالة دكتوراة أعدها.
39. الطبري ، اعلام الورى باعلام الهدى ص96 .
40. البدائع للكاساني الجزء 5 ص281 .
41. يحى بن آدم، الخراج المطبعة السلفية، القاهرة عام 1352هـ ص74 .
42. الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج1 .
43. الكاساني، البدائع الجزء 5 ص281 .
44. الطبري، ابن جرير الطبري، التاريخ ، دار المعارف القاهرة 1970م ج4 ص156 .
45. المودودي، الحكومة الإسلامية، ترجمة أحمد ادريس طبعة القاهرة عام 1977م ص153 .
46. أبادي، محمد حميد الله الخير أبادي، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، طبعة القاهرة 1956م ص326 .
47. د. صلاح الدين المنجد، فتوح البلدان ، البلاذري، تحقيق ، صبعة القاهرة 1956م ص189 .
48. حسن الزين، الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية حتى الفتح العثماني ، دار الفكر الحديث بيروت ط 1988م.
49. ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة ، ج2، تحقيق صبحي صالح ط1961م ص657 .
50. السماك، محمد السماك، موقع الإسلام في صراع الحضارت والنظام العالمي الجديد، دار النفائس ط 1995م ص200 .
51. السماك، محمد السماك، الأقليات بين العروبة والإسلام ، دار العلم للملايين بيروت ط 1990م ص147 .
52. الجوزية، إبن قيم الجوزية، راجع الأحكام لأهل الذمة ، ، الجزء الثاني ص657 ، تحقيق صبحي صالح 1961م .
53. أبي عبيدة، الأموال صفحة 29 ، راجع مشهي الإرادات 329/1 .
54. الطبري تاريخ 2044/1 .
55. أبي عبيدة الأموال ص 295 .
56. الأغاني 83/8 .
57. الطحاوي اختلاف الفقهاء ص216
58. د. صبحي محمصاني ، الامام الأوزاعي ص54 .
59. تاريخ الطبري 2045/1 .
60. نهاية الأرب النوير ، دار الكتب المصرية ج6 ص348 .
61. كاظم، محمد كاظم، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ، ترجمة سباق طبعة بيروت عام 1969م ضمن نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون ص350.
62. المصري، عبد السميع المصري، للمزيد انظر منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع ، ص81 .
63. الدين للحياة ، د.مرسى ص 62
64. زيهر، قولد زيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ، الترجمة العربية ، دار الكتب الحديثة القاهرة بدون تاريخ ط2 ص310 .
65. راجع قولد زيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، الترجمة العربية ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الحديثة القاهرة ص310 .
66. القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الانصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد التاسع ، مؤسسة مناهل العرفات بيروت بدون تاريخ ص59 .
67. عبد السميع، منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع، ص81 .
68. الامام الزمخشري، الكشاف، 529/2 .
69. د. مرسي، الدين للحياة، ص62 .
70. المصري، عبد السميع المصري، منهاج الإسلام في حياة الفرد والمجتمع ، ص82 .
71. وصفي، د. مصطفي كمال وصفي، المشروعية في النظام الإسلامي ، القاهرة ط 1970م ص52،53 .